والاكرام الذي ينعم على من يشاء من عباده بعد الانعام بايجادهم فهو الواحد
المنفرد في ملكه وقرا ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي تنزيل بالنصب
على الحال كما مر او باضمار اعني والباقون بالرفع على انه خبر مبتدا مضمر كما مر
ولما ذكر تعالى المرسل وهو الله تعالى والمرسل وهو النبي صلى الله عليه وسلم
والمرسل به وهو القران ذكر المرسل له بقوله تعالى لتنذر قوما اي ذوي
باس وقوة وفطنة ما انذر اي لم تنذر اصلا اباوهم اي لم ينذروا في زمن
الفترة فهم اي بسبب زمان الفترة غافلون اي عن الايمان والرشد وقوله
تعالى لقد حق القول على اكثرهم فيه وجوه اشهرها ان المراد بالقول هو قوله
تعالى لقد حق القول مني لاملان جهنم منك وممن تبعك ثانيها ان معناها
لقد سبق في علمه تعالى ان هذا يومن وهذا لا يومن فحق القول اي
وجب وثبت بحيث لا يبدل بغيره كما قال تعالى ما يبدل القول لدي
ثالثها المراد لقد حق القول الذي قاله تعالى على لسان الرسل من التوحيد
وغيره فهم اي بسبب ذلك لا يومنون اي بما يلقي اليهم من الانذار
بل يزيدهم عمى استكبارا في الارض ومكر السيئ ونزل في ابي
جهل وصاحبه انا جعلنا في اعناقهم اغلالا اي بان نضم اليها الايدي
لان الغل يجمع اليد الى العنق وذلك ان ابا جهل كان قد حلف لان راى محمدا
صلى الله عليه وسلم يصلي ليرضخن راسه فاتاه وهو يصلي ومعه حجر
ليدمغه به فلما رفعه انثنت يده الى عنقه ولزق الحجر الى عنقه فلما رجع
الى اصحابه واخبرهم بما راى سقط الحجر فقال رجل من بني مخزوم انا اقتل
بهذا الحجر فاتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فاعمى الله تعالى بصره فجعل يسمع
صوته ولا يراه فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له ما صنعت
فقال ما رايته ولقد سمعت كلاما وحال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر
بذنبه لو دنوت منه لاكلني فانزل الله تعالى هذه الاية ووجه المناسبة
لما تقدم انه لما قال تعالى لقد حق القول على اكثرهم وتقدم ان المراد به
البرهان قال بعد ذلك بل عاينوا وابصروا ما يقرب من الضرورة حيث
التزقت يده بعنقه ومنع من ارسال الحجر وهو مضطر الى الايمان ولم
يومن علم انه لا يومن اصلا وقال اهل المعاني هذا على طريق المثل ولم يكن
هناك غل اراد منعناهم عن الايمان بموانع فجعل الاغلال مثلا لذلك
فهو تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغني عنهم
الايات والنذر تمثيلا لهم بالذين غلت اعناقهم وقال معناه حبسناهم
عن الانفاق في سبيل الله كقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى
عنقك معناه ولا تمسكها عن النفقة ومناسبة هذا لما تقدم ان
قوله تعالى فهم لا يومنون يدخل فيه انهم لا يصلون كقوله تعالى

ليضيع

ليضيع ايمانكم اي صلاتكم عند بعض المفسرين والزكاة مناسبة للصلاة
فكانه قال لا يصلون ولا يزكون واختلف في عود الضمير في قوله تعالى
فهي الى الاذقان على وجهين اشهرهما انه عائد على الاغلال لانها هي المحدث عنها
ومعنى هذا الترتيب بالقاء الغل لغلظه وعرضه يصل الى الذقن لانه يلبس
العنق جميعه قال الزمخشري والمعنى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا ثقالا
غلاظا بحيث تبلغ الى الاذقان فلم يتمكن المغلول معها من ان يطاطئ راسه ثانيهما
ان الضمير يعود على الايدي واليه ذهب الطبري وعليه جرى الجلال المحلي
لان الغل لا يكون الا في العنق واليدين ودل على الايدي وان لم تذكر الملازمة
المفهومة من هذه الالة اعني الغل وقرا قالون وابو عمرو والكسائي بسكون
الها والباقون بكسرها والاذقان جمع ذقن وهو مجمع اللحيين فهم مقمحون
اي رافعون روسهم غاضون ابصارهم في انهم لا يلتفتون لجهة الحق ولا
يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطئون روسهم له والاقماح رفع الراس الى فوق
كالاقناع وهو من قمح البعير راسه اذا رفعها بعد الشرب اما لبرود
الماء واما لكراهة طعمه ولما كان الرافع راسه غير ممنوع من النظر امامه قال
تعالى وجعلنا اي بعظمتنا من بين ايديهم اي الوجه الذي يمكنهم
عليه سدا فلا يسلكون طريق الاهتداء ولما كان الانسان اذا انسدت
عليه جهة مال الى اخرى قال تعالى ومن خلفهم اي الوجه الذي هو
خفي عنهم سدا فلا يرجعون الى الهداية فصارت كل جهة يلتفت
اليها منسدة فصاروا لذلك لا يمكنهم النظر الى الحق فلذلك قال
تعالى فاغشيناهم اي جعلنا على ابصارهم بما لنا من العظمة غشاوة فهم
اي بسبب ذلك لا يبصرون اي لا يتجدد لهم هذا الوصف من ابصار
الحق وما ينفعهم ببصر ظاهر ولا ببصيرة باطنة وايضا الانسان مبدوه
من الله تعالى ومصيره اليه فعمي الكافر بان لا يبصر ما بين يديه من المصير
الى الله تعالى وما خلفه من الدخول في الوجود بخلق الله تعالى ومن
احاط به سدان تغطي ابصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم
في انهم محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر في الايات
والدلايل وايضا فان السالك اذا لم يكن له بد من سلوك طريق فان
انسد الطريق الذي قدامه يفوته المقصد ولكنه يرجع فاذا
انسد الطريق من خلفه ومن قدامه والموضع الذي هو فيه لا يكون
موضع اقامة هلك فان قيل ذكر السد من بين الايدي ومن الخلف
ولم يذكره من اليمين والشمال فما الحكمة في ذلك اجيب بانهم اذا قصدوا
السلوك الى جانب اليمين وجانب الشمال صاروا متوجهين الى شي ومولين
عن شي فصار ما اليه توجههم ما بين ايديهم فيجعل الله تعالى

ولا الخلوص اليهم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)